مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 21 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2025 الصفحات 429- 439

دلالة المفارقة في الشعر الجزائري المعاصر

The Significance of Irony in Contemporary Algerian Poetry

سعاد زدام[1]،*

[1] المدرسة العليا للأساتذة أحمد عمور/ وهران (الجزائر)، souadzed1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/08/05 تاريخ القبول: 2025/08/20

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل دلالة المغارقة (المفارقة) في الشعر الجزائري المعاصر، وكيفية توظيفها كآلية جمالية وتعبيرية للتعبير عن التناقضات الإنسانية والاجتماعية. اعتمد الباحث المنهج التحليلي الوصفي، من خلال قراءة نصوص مختارة لشعراء جزائريين وتحليل أنماط المفارقة في بنية القصيدة واستخداماتها السياقية. تتركز التساؤلات الرئيسة حول: ما أنواع المفارقة السائدة في الشعر الجزائري المعاصر؟ كيف تعكس هذه المفارقة رؤية الشاعر للعالم؟ وما أثرها في إثارة الدهشة والمتعة لدى المتلقي؟ توصّل البحث إلى أن المفارقة، خصوصًا اللفظية، تعد أداة مركزية في بناء المشهد الشعري الجزائري الحديث وإثرائه.

الكلمات المفتاحية:

المفارقة؛

الشعر الجزائري المعاصر؛

التحليل الوصفي؛

البنية الشعرية؛

الدهشة الجمالية؛

ABSTRACT:

This study aims to analyze the significance of irony in contemporary Algerian poetry and how it is employed as an aesthetic and expressive tool to reveal human and social contradictions. The research employs a descriptive-analytical methodology, examining selected texts by Algerian poets and analyzing the patterns and contexts of irony within poetic structures. The main research questions are: What types of irony prevail in contemporary Algerian poetry? How does this irony reflect the poet's perception of the world? And what is its effect on creating surprise and enjoyment for the reader? The study concludes that irony—especially verbal irony—is a pivotal tool in shaping and enriching the modern Algerian poetic scene.

Keywords:
Irony,
Contemporary Algerian Poetry,
Descriptive Analysis,
Poetic Structure,
Aesthetic Surprise,

* سعاد زدّام.

مقدّمة:

يتميز النص الأدبي بمجموعة من الظواهر والفنيات تحقق له صفة التفرد، منها التناص، الانزياح والمفارقة وهي إحدى أهم هذه الظواهر الأسلوبية، المفارقة التي تعد أسلوبا لطيفا طريفا، إنه لعبة لغوية تقوم على المهارة والذكاء عبر رسائل غير صريحة لأجل إيصال فكرة أو إحساس ما، فهو ثنائية مبنية على التناقض، قائمة بين اثنين، المبدع الأول (صاحب الرسالة)، والمبدع الثاني (متلقي هذه الرسالة). وإن لم يكن لهذا الأسلوب حضور كامل وموثوق في الآداب العالمية قديما كالأدب الفرنسي والانجليزي، إلا أننا نجد له تصورا في الحضارة اليونانية، فقد كانت المفارقة أسلوبا يستخدمه الفلاسفة ومنهم سقراط، في محاوراتهم بطريقة بسيطة ومراوِغة يستدرج من خلالها الطرف الثاني إلى الاعتراف بجهله وفشله.

أما في التراث العربي فلم يعرف العرب فن المفارقة بمفهومها الحالي تحديدا، لكن نجد بعض ملامحها في كلامهم، من خلال النوادر ولطائف القول، فقالوا مدحا أريد به ذم، وقالوا ذمّا أريد به مدح، وقول تلك الإعرابية معروف وهي تقول للخليفة: "إني أشكو إليك قلة الجرذان في بيتي"، فقال الخليفة املؤوا بيتها سمنا وعسلا، فإنما أرادت أن تشكو فقرها وحاجتها فعبرت عن ذلك بطريقة تهكمية.

في كل الأحوال، لا يكاد يخلو أدب ولا عصر، من أسلوب المفارقة ذلك أنها تقنية من التقنيات التعبيرية المتأصلة في الحس الإنساني، فهي أسلوب يستعمل حتى في الحياة اليومية، كجوابنا على قول أحدهم: "لماذا لا تتصل وتسأل؟" فنرد بتهكم: "يكفي أنك أنت من يتصل"، تعبيرا منا على أنه أنك أنت أيضا لا تتصل ولا تسأل، أو دخول أحدهم إلى مجلس دون إلقاء السلام، فيرد أحدهم، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، إشارة منه أنك لم تلق التحية، أو قول أحدهم لشخص ما في المجلس: "لقد جاء صاحبك" مع أن الطرف القائل يعلم أن بينهما حساسية أو شبه عداوة، هذه أمثلة من الحياة اليومية لتقريب مفهوم المفارقة وحتى نزيح اللبس بينها وبين الطباق والمقابلة.

1/تعريف المفارقة:

أ/لغة:

المفارقة اسم مفعول من الفعل فارق، وهي من الجذر الثلاثي (فرق)، جاء في معجم مقاييس اللغة أن "الفاء والراء والقاف أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين، والفارق من الناس الذي يفرق بين الأمور ويفصلها".[1]

كما جاء في لسان العرب لابن منظور أن المفارقة من الجذر اللغوي فرق، خلاف الجمع، وفارق الشيء مفارقة وفراقا أي باينه، والفرق: الفصل بين الشيئين، واستشهد بقوله تعالى: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ الملائكة تزيل الحلال والحرام، وقرآنا فرقناه" أي فصلناه وأحكمناه.[2]

فيما ورد في معجم الوسيط أن قولنا فرق بين شيئين معناه فصل وميّز، وفارقه مفارقة وفراقا أي باعد[3].

كما هو ملاحظ تتفق كل المعاجم أن من معاني(فرق) و (المفارقة) الفصل بين شيئين والتميّيز بينهما والتباعد والتباين، خاصة إذا كان هذين شيئين على طرف نقيض ومعنيين متضادين كالحلال والحرام والحق والباطل.

ب/اصطلاحا:

إنه لمن الغرابة والمقاربة أن تعني كلمة مفارقة –في القاموس اليوناني قديما– التظاهر بالجهل أو الجهل الكاذب، والذي من صوره المراوغة والتلاعب في استخدام اللغة بذكاء وحكمة، فالمفارقة: "لعبة لغوية ماهرة وذكية بين الطرفين: صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه إلى رفض معناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفيّ، الذي غالبا ما يكون المعنى الضد وهو في أثناء يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه ليستقر عنده".[4]

فيما أعطى سعد مصلوح للمفارقة مفهوما أكثر تبسيطا وتوضيحا يجمع بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي حيث يقول: "هي اختيار معجمي تقترن بمقتضاه كلمتان في مركب لفظي اقترانا دلاليا ينطوي على تعارض– أو عدم انسجام–منطقي، ويتولد عنه بالضرورة مفارقة دلالية، تثير لدى المتلقي شعورا بالدهشة والطرافة، فيما تحدثه المفارقة الدلالية من مفاجأة للمتلقي بمخالفتها الاختيار المنطقي المتوقع".[5]

فالمفارقة إذن، انزياح لغوي جمالي يتسم به النص الأدبي، ما يجعل المتلقي في حالة مواجهة معه تستنفر خياله وتستفز فيه القارئ المبدع، وهي ليست مجرد وسيلة بلاغية بل هي وسيلة فلسفية أيضا، تفضح لتكشف وتضيئ، وتهدم لتبني، وتضحك لتبكي، وتهمس لتصرخ، وتشكك لتتأكد وتؤكد.[6]

ومن خلال كل ما سبق من تعاريف، يتضح لنا ان المفارقة تكون بين اثنين وهما: المبدع/ المتلقي وتقوم على الثنائية، التي تعني التضاد بين شيئين، وينبغي على المتلقي أن يكون صاحب بصيرة لأنه عنصر مهم في تحليل هذه الثنائية المتناقضة، ذلك أن "المفارقة ليس لها جهاز ولا ميزان يقدر ارتفاع حرارتها أو انخفاضها فالميزان الوحيد هو المتلقي، ومدى قدرته وثقافته، وتفتح ذهنه، هو الزئبق الوحيد القادر على كشف المفارقة ومعرفة أبعادها الأفقية".[7]

2/عناصر المفارقة:

أ/المرسِل: وهو صانع المفارقة والمتلاعب الماهر بالكلمات والمعاني، يصوغ نص المفارقة ويتقن فتحها وغلقها في آن واحد، فهو:

- يقول شيئا، بينما يقصد شيئا آخر.
- يقول شيئا، بينما المتلقي يفهم شيئا آخر.

ويضمّن نصه إيماءات وإشارات ترجح معنى عن آخر، وبناء عليه، "فالمفارقة هي إما أن يعبر المرء عن معناه بلغة توحي بما يناقض هذا المعنى أو يخالفه ولاسيما أن يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الآخر، إذ يستخدم لهجة تدل على المدح ولكن يقصد السخرية والتهكم، وإما هي حدوث حدث أو ظرف غير مرغوب فيه ولكن في وقت غير مناسب البتة (...) وإما هي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطنا موجها لجمهور خاص مميز، ومعنى آخر ظاهرا موجها لجمهور خاص مميز، ومعنى آخر ظاهرا موجها للأشخاص المخاطبين".[8]

ب/المستقبِل: هو الطرف المتلقي للمفارقة، وظيفته تحليل الرسالة وإعادة إنتاجها والوقوف على جمالياتها بصفته مبدع ثانٍ.

ج/الرسالة: وهي نص المفارقة وتحمل بنية المفارقة ومضمونها، وما لها من دلالات وتداعيات.

3/أنواع المفارقة:

تعد المفارقة أحد أبرز ملامح الشعرية في الأدب المعاصر، فهي "من الناحية الأسلوبية ضرب من التأنق هدفها الأول إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيرا"[9]، ولقد كان للنقاد المحدثين محاولات في تقسيمها حسب آرائهم النقدية واتجاهاتهم وتوظيفهم لها، إذ هناك من قسمها حسب الموضوع، حسب الدلالة اللفظية، حسب التأثير، في حين نرى أن النص هو الذي يحدد أنواع المفارقات حسب نمطه ونوعه وموضوعه وتداعيات موضوعه، لكن هناك من حصرها في ثلاثة أنماط وهي: "المفارقة اللفظية، والمفارقة الدرامية، والمفارقة الرومانسية، وتعد المفارقة اللفظية هي الأقرب إلى النص الشعري، حيث اللغة هي أداته".[10]

ولعلّ ما يهمنا هنا هو المفارقة اللفظية لاتصالها بالنص الشعري.

أ/ المفارقة اللفظية: يعرفها محمد العبد: "هي شكل من أشكال القول، يساق فيها معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر، يخالف غالبا المعنى السطحي الظاهر ويتحقق هذا النوع من المفارقة في مجموعة من المستويات يجتمع فيها أكثر من عنصر"[11]، ومعنى هذا أن هذا النوع هو انقلاب في الدلالات وهو غير زمني، ويقابله مفارقات الأحداث وهي مفارقات زمنية لأنها انقلاب يحدث مع مرور الزمن[12]، وتنقسم المفارقة اللفظية إلى نوعين:

– **المفارقة الهادفة:** وهي: "لعبة يقوم بها اثنان فصاحب المفارقة الذي يقوم يدور الغرير يعرض نصا، ولكن بطريقة أو سياق يدفع القارئ إلى أن يرفض ما يعبر عنه النص من معنى حرفي، مفضلا ما لا يعبر عنه النص من معنى منقول ذي مغزى نقيض".[13]

– **المفارقة الملحوظة:** "تقترب إلى الصفة الدرامية أو المسرح إذ تشترط وجود مراقب بل غن تنفيذها يشترط إقامة مسرح ذهني تقوم فيه بدور المراقب غير المراقب لترى الموقف بوضوح كما هو عليه ونشعر بعض الشيء بقوة اللاوعي المطمئن لدى الضحية".[14]

ب/ المفارقة الدرامية: وهي تلك المتعلقة بالمسرح، وتقوم على ذلك التفاعل الحاصل بين الشخصيات المسرحية والجمهور، ومدى وعيه بما تقدمه هذه الشخصيات وتنافره معها وتناقضه مع تصرفاتها التلقائية والعفوية.[15]

ج/ المفارقة التصويرية: وهي "تكنيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض"[16]، وقد يبدو لأول وهلة أن هذا النوع متعلق الطباق والمقابلة، ولكن المفارقة التصويرية هي تكنيك مختلف تماما عن الطباق والمقابلة سواء من ناحية البناء الفني، أو من ناحية وظيفته الإيحائية، لأن المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض.[17]

د/ المفارقة السقراطية: واضح من خلال التسمية، أنها هذا النوع سمي هكذا، نسبة إلى الفيلسوف اليوناني سقراط، حيث ترجح كثير من المصادر أن سقراط هي أول من استخدم المفارقة ليصل بمحاوره إلى اعترافه بجهله، عن طريق مهارة التلاعب باللغة، فقد كان سقراط يدعي الجهل بطرح أسئلة مخادعة في مجالس النقاش والجدال.

وظيفة المفارقة:

من الصعب تحديد وظائف معينة للمفارقة وذلك لتعدد أنواعها ومقاصدها حسب النص ومؤلفه، وهي عنصر مهم الحضور في النص الأدبي لما تضيفه وتضفيه هذه الخاصية من جمالية على النص الأدبي، عدا وظائف أخرى منها إثارة المخاطَب وتسليته وإمتاعه والتأثير فيه. فالمفارقة أسلوب جمالي يهدف إلى تحريض وإثارة المتلقي وإدهاشه وخلخلة بنية الوعي لديه[18]، وهي "وسيلة لكشف تناقضات العالم وتعريتها لتحقق نوعا من القبول المتزامن مع الشعور بعشوائية العالم، ولتحقق عالما غامضا هو في الوقت نفسه في متناول الشعور والوعي".[19]

وقد تأتي المفارقة أيضا، "سلاحا للهجوم الساخر وقد تكون أشبه بستار رقيق يشف عمّا وراءه من هزيمة الإنسان وربما أدارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسا على العقب، وربما كانت المفارقة تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لنرى ما فيه من تناقضات وتضاربات تثير الضحك"[20]، إن ما جاء في هذا الاقتباس النقدي، ما هو إلا بعض أمثلة من بعض وظائف المفارقة التي تكاد تتقاطع مع أنواعها، إنها تناقضات الحياة والنفس البشرية التي لا تنتهي، مدح/سخرية، ضحك/بكاء، البشارة/الإنذار، حزن/ فرح، تصوف/مجون... وغيرها من تناقضات وضدية.

من جهة أخرى، فإن للمفارقة وظيفة نقدية، فهي: "أداة نقدية قادرة على خدمة النقد القائم على تعددية القراءات وتسهم في منح النص الأدبي عمقا، وتوسع مداياته التأويلية فتمد المتلقي بآفاق رحبة في عملية تفاعلية مؤثرة لحظة الاستقبال تعينه على أن يصبح مالكا للنص ومنتجا لدلالاته ورؤاه، وهي تحقق فرصة بما يسميه نقاد نظرية التلقي بآفاق التوقع بحيث تخيّب التوقع المسبق فتستفز المتلقي وتدفعه للمشاركة في تقديم تصورات ومقاصد وتأويلات تفسر ما يحدث وتهيئ فرصة ثمينة لدفعه لاستحضار ما كان عازبا عنه لحظة التلقي"[21]، إنها أداة لكسر الأفق وخلق عنصريْ الدهشة والمفاجأة.

من بين وظائف المفارقة أيضا توفير عنصر المتعة والبهجة والتسلية، لذلك ينبغي أن ننظر إلى المفارقة على أنها شيء واحد لا أشياء عديدة، أنها شيء ذو قيمة لدينا لأنها –بوصفنا جمهورا مفسرين أو مراقبين– توفر لنا متعة بعينها".[22]

وللمفارقة أيضا، "وظيفة إصلاحية في الأساس فهي تشبه أداة التوزان التي تبقي الحياة متوازنة، أو سائرة بخط مستقيم تعيد إلى الحياة توازنها عندما تحمل محمل الجدّ المفرط، أو لا تحمل ما يكفي من الجد"[23]، وقد يتجلى هذا كثيرا في الخطابات الدينية والكتب السماوية أو النصوص الاجتماعية والنفسية.

نقف أيضا على وظيفة التأثير في المخاطَب، فهي "تدعو المخاطب أو القارئ إلى أن يربط نفسه بها أشدّ ما يكون الربط، لإدراكها وتفسيرها تفسيرا مقبولا وسليما"[24]، ما يعني أنه ينبغي على المتلقي أن تتوفر فيه بعض الشروط كسعة الثقافة وسرعة البديهة وبعد النظر.

وفيما يلي نقف على نماذج شعرية معاصرة، حمّلها مبدعوها خاصية المفارقة، وسعوا إلى توظيفها بطرق مختلفة، بدءا من عناوين دواوينهم أو عناوين قصائدهم إلى المتون.

يقول الشاعر أحمد دليل، في قصيدة طيف السؤال[25]:

أبتي أحقا صرت طي

فيا من خيال

أبت أجبني.. أين أنت؟

قالوا خرجت.. وبحثت عنك فلم أجد

بالباب آثار النعال

أمي تقول أم رحلتك الطويلة نحو

أرض،

لست أذكر اسمها

قد تقتضي زمنا طويلا

هل صرت تعمل هناك؟

فتشت عن هندامك الأزرق،

فوجدته.. بقع من الإسمنت كالمعتاد

تملأه،

وسألت كيف راح أبي ليعمل؟

ها هنا هندامه الأزرق

لم تجبني، واختفى الهندام

تحكي هذه القصيدة وجع وفاة الأب، حملت هذا الخبر في مفارقتين عاشهما الشاعر وهو يقف بين مصدق ومكذب لخبر وفاة أبيه، يسأل عنه وهو حائر بين ما تقوله والدته وما يقوله الناس، وبين آثار والده التي بقيت شاهدة على حضور/غياب الأب، وعلِقت الأسئلة لدى الطفل الداخلي للشاعر، "قالوا خرجت.. بحثت عنك فلم أجد بالباب آثار النعال". فبين الخروج والبحث صلة العثور لكن الشاعر لم يجد لهذا الخارج أثرا ما زاد حيرته وخوفه، فلجأ الشاعر إلى أمه على أمل أن يجد إجابة آمنة تهدئ روعه، يقول: "أمي تقول إن رحلتك الطويلة نحو أرض، لست أذكر اسمها قد تقتضي زمنا طويلا" نحن هنا أمام مفارقة أخرى فالذهاب في رحلة يقابله العودة، لكن الأب رحل ولن يعود، وهو ما لم يستوعبه الطفل الداخلي عند الشاعر، فوقف حائرا متألما وهو يتأمل ثوب العمل الخاص بوالده وعليه بقع الإسمنت، متسائلا أين أبي؟ وقد لزمه الأمر أعوام حتى أدرك أن أباه قد مات وتركه وحيدا حينها كبر فجأة واختفى الطفل الصغير.

في قصيدته: علمتني عضة الصمت الكلام.[26]

كما هو ملاحظ، يحمل العنوان مفارقة في سخرية مؤلمة، تمثل في: الصمت/ الكلام، إنها انتفاضة ضد سنوات من الصمت عن الفساد والظلم، مفارقة بين الحاكم والمحكوم، يقول:

أعذروني إن تلمست عظامي تحت أكوام الحطام

لم أعد أقوى على حمل الركام

ها أنا لممت نفسي بعد أن طال انتظاري

نور فجر ألف عام

يا بلادي... علمتني عظة الصمت الكلام

وأنا دمع نشيد كان يحيا فيمحياك ومات

هناك مقولة متداولة تقول: "الوطن للأغنياء والوطنية للفقراء"، وهو ما ينطبق على هذه البلاد، لقد طفح الكيل بالكثير من الشباب وبهذا الشعب وهو ينتظر حياة كريمة في هذا الوطن ولكن.. ضاعت الأحلام وانكسرت الكرامة ونحن في انتظار الغد المشرق الذي طال انتظاره، تلعثم النشيد بألسنتنا وتلاشت ملامح الوطن بقلوبنا وأصبح حلم الكثير الهجرة إلى الضفة الأخرى، وبدل التضحية لأجل الوطن أصبحت التضحية لأجل الهروب من الوطن.. إنهم يفضلون الموت في عرض البحر، على العيش هنا.. وقد نعاني يوما ما مع الأسف، أزمة وطنية.

نقف على نموذج آخر من الشعراء الجزائريين، ومع ديوان "قلّ.. فدلّ (سباعيات)" لفيصل الأحمر، المحمّل بتلاعبات لغوية ثرية بدءا بعنوان الديوان "قلّ.. فدلّ"، فما عاد يجدي كثرة الكلام والثرثرة، فبعض الأحاسيس لا تحتويها الكلمات وما ينضح بالروح تبقى اللغة قاصرة عن ترجمته، لهذا لجّأ الشاعر إلى تخيّر بعض ألفاظه العميقة القوية للتعبير عما يختلج في جزيرة الروح وكوكب الخيال، حيث يقول في قصيدة "سباعية لغوية ثانية"[27]:

سحبي قبضة من مدى أرخبيل العجب

في سماء طواها الأبدْ

أبدٌ يستحيل أدبْ

من "محيط المحيط"

الذي ضفتاه "لسان العرب"

ثم وفي نفس القصيدة، يقول[28]:

تموت الحياة لأجل انبعاث اللغات

ويموت يموت السياق

ليبعث في رحم الخلد زرعُ الكلام

في مفارقة أخرى تعبيرا عن الحس الإنساني الذي يحمله الشاعر لإيصال رسالته، ومعاناته أثناء ممارسة فعل الكتابة، التي هي أشبه بالمخاض العسير، فمن ذا يخرج الكلمة من الروح؟ ومن ذا يولج المعنى في الكلمة كم ينبغي

للشاعر أن يعيش من مآسٍ، كم ينبغي له أن يموت لتنبعث اللغة من ذهنه صافية صادقة مدوية معبرة عمّا بأعماقه، ستتلاشى بعض المعاني ويموت السياق، ويكرر الشاعر كلمة يموت دلالة على عسر ولادة الكلمة لأنها ولادة من الروح، كل رحلة العذاب هذه لأجل أن ينبت زرع الكلام.

ولازال الشاعر فيصل الأحمر في صراع مع هذه اللغة، فهو لا يريد منها إلا الأدق والأعمق والأجمل والأفضل، فهذه قصيدة عنونها "باختصار شديد"، حاول فيها الشاعر الوقوف على مفارقة بعض المشاهد من الطبيعة متعالقة مع الزمن أو الإنسان، يقول[29]:

شقوق على الشجر

تلك؟

أم ندوب الزمان على وجنة القدر؟

جميعنا يرى تلك الشقوق على جذع الشجر، لكن الشاعر يتساءل في حيرة دون أن ينتظر جوابا أتراها تلك الشقوق ندوب الزمان على وجه القدر؟ فالحس الإنساني لدى الشاعر هو غيره لدى العامة، إن الشجرة هنا هي وجه إنسان عجوز يصور الشاعر ما فعله الزمن بهذا الوجه وهذه الروح، فكما يخلف الزمن آثاره على عمر الإنسان فيكبر ويشيخ وتظهر تجاعيده هكذا يخلف الزمن بمآسيه كالحروب والتهجير والفقدان والموت والشوق والحنين والخذلان وغيرها ندوبه على الروح الإنسان.. ندوب لا شفاء منها.

في نفس القصيدة يتأمل الشاعر مشهدا طبيعيا آخر، استطاع بحسه الشاعري أن يجعله مغريا رغم أنه من الطابو والمدنس في عرفنا الديني والاجتماعي، إنها السلافة أو الخمرة، فقد وقف يتأملها ويفرد عليها روحا شفافة مضحية، حتى أنه تخير لها لفظا أنثويا رقيقا لطيفا (السلافة) والتي تعني في المعاجم العربية أفضل الخمر، كما تعني أول العصير وخالصه، حيث يقول[30]:

السلافة...

لا هي عرض الكأس ولا هي جوهره

هي روح المزارع...

أهدرَ روح الكروم

يظن بأنه قطّرها

والكروم تقطره...

فالمفارقة أن الشاعر لا يرى أن السلافة هنا هي ذلك المشروب المدنس والمحرم، إنما يرتقي بها إلى حال التكريم وإلباسها روح الإنسان، فهي روح ذلك الإنسان الذي غرسها وواساها ورباها واعتنى بها، حتى كبرت واستوت وحان قطافها وتقطيرها، إذن فتلك السلافة ليست بالكأس العارض ولا المشروب العابر، إنها روح المزارع مقطرة قطرة.. فقطرة. وكذلك شأن الكثير من الأشياء في هذه الحياة فالكتب مثلا هي أبناء لصاحبها ومؤلفها، وأي شيء تصنعه أيدينا ويكبر تحت أعيننا إنما هي أجزاء من أرواحنا وبعض منا.

وعند مفارقة التضاد القديم/ الحاضر والموت/ الانبعاث، يقف الشاعر عند عتبة الزمن الجميل يستجديه دفء لحن وعطر أغنية توقظ ذكريات الزمن الماضي في هذا الحاضر الباهت، يقول[31]:

للأغاني القديمة

وسط زحام الأغاني

قدرة لا تضاهي

على بعثِنا من رماد الثواني

كثير منا تعيده ذاكرة المكان أو حميمية الأشياء والروائح والألوان إلى ماض جميل يفتقد فيه الأصدقاء والرفاق، مقهى مثلا أو بيت قصيدو رائحة خبز بالزعتر والزيتون أو نكهة البرتقال واللوز والليمون.. لكن الشاعر اختار من دون ذلك الأغاني القديمة الدافئة والألحان العذبة العميقة، لما لها من سحر وتأثير على إعادتنا إلى ذكرى مضت ولما لها من قدرة على إحياء شعور حسبنا أنفسنا أننا قد تجاوزناه، بل ولقدرتها على بعث أشخاص من رماد الذاكرة كنا قد وأدناهم في دواخلنا.

وتتبعا لجمال القصيدة وسحرها، نقف على مقطع آخر من القصيدة، حيث يقول[32]:

وحده الثلج

بهذا البياض

يستطيع يغطي

سواد العباد العنيف

نلمس من خلال هذا المقطع تعالقا آخر ما بين الطبيعة والإنسان، فالإنسان كون صغير وهو انعكاس لما في الكون الكبير.. قد يوافقه وقد يخالفه لتحقيق بعض التوازن، فالكون مسخر لخدمة الإنسان، نجد الشاعر يلجأ إلى توظيف مفارقة التضاد، متمثلة في الألوان ما بين البياض والسواد، البياض متمثلا في الثلج ونقائه وطهارته، وبين السواد متمثلا في قلوب بشرية قد تحجرت واكتسحها الحقد والظلم والكراهية والعنصرية وما شابه، ولعل ذلك يذكرنا بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال: "اللهم اغسل قلبي من خطاياي بالماء والثلج والبرد".

الخاتمة:

ختاما وكما هو ملاحظ، ومن خلال النصوص الشعرية السابقة، فقد تعددت صور المفارقة ومواقفها انطلاقا من سياق النص ومدارك الإحساس، فقد كان حضور هذا الملمح الأدبي الجميل حضورا لافتا في الشعر الجزائري المعاصر كونه من طرائق التعبير التي بنى عليها الشعراء المعاصرون قصائدهم، لكن الملاحظ أن هذا التعبير الفني يستدعي بداهة الشعور لالتقاطه وتحليله، إذ ينبغي على الباحث التمتع بالخيال والإدراك للوقوف على أشكال المفارقة وصورها الواردة في الشعر الجزائري المعاصر، فهي لا ترد بشكل مباشر وليس لها معيارا ولا قالبا أو قاعدة، إنما هي فنيات يعتمدها الشاعر انطلاقا من عمق ثقافته ومدى تمكنه من التلاعب باللغة وتمويه الملتقي العادي وإثارة المتلقي الواعي الذي يمكن له أن يستشفها من خلال سياق النص الشعري خاصة ومن خلال التجربة الشعرية

للشاعر عموما، ومن خلال أيضا ما يتمتع به من حس جمالي وإدراكي. ولعلّ الغالب على أشكال هذه المفارقة هو المفارقة اللفظية، خاصة مفارقة التضاد والتقابل، أما المفارقة الدرامية فنادرة في النصوص الشعرية وذلك لارتباطها بالنصوص النثرية خاصة منها المسرح والقصة القصيرة والقصة القصيرة جدا لمن يجيد كتابتها وتكثيفها.

المراجع المعتمدة:

- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، معجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية، تركيا، 1982، ج1، مادة (فرق).
- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، (د.ط) دار الجيل، بيروت، 1999، المجلد الرابع، مادة (فرق).
- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 2004، المجلد الحادي عشر، مادة فرق
- أحمد دليل، رجل من أرض الحلاج، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2014.
- خالد سليمان، المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشرق للنشر، عمان الأردن ط1، 1999.
- خالد سليمان، نظرية المفارقة، أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب، مجلد09، العدد02، 1991.
- دي سي ميوك، موسوعة المطلح النقدي، (المفارقة وصفاتها) مج4، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993.
- الرديني رائد فؤاد طالب، المفارقة في شعر الجنوسة في القصيدة العربية المعاصرة (دراسة وتطبيق) مجلة العربية والترجمة، دار المنظومة، لبنان، مج2، ع27، 2016.
- سامح الرواشدة، منازل الحكاية، (دراسات اللغة في الرواية العربية) دار الشروق للنشر، عمان، ط1، 2006.
- سعد مصلوح، في النص الأدبي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1993.
- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط5، 2006.
- علي عشيري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سيناء، القاهرة، ط 4، 2002.
- فريحة يبرير، المفارقة في مقامات الهمذاني، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2010.
- فيصل الأحمر، قلّ...فدلّ، دار المثقف الجزائري، باتنة، الجزائر، ط1، 2017.
- محمد العبد، المفارقة القرآنية، (دراسات في بنية الدلالة)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2006.
- محمد العبد، المفارقة في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1994.
- ناصر شبانة، المفارقة في الشعر العربي الحديث، (أمل دنقل، سعدي يوسف، محمود درويش أنموذجا) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001.
- نبيلة إبراهيم، فن القص (في النظرية والتطبيق)، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- نعمان عبد السميع متولي، المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي، دار العلم والإيمان، مصر، 2004.

الهوامش والإحالات:

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، (د.ط) دار الجيل، بيروت، 1999، المجلد الرابع، مادة (فرق).

[2] ينظر ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 2004، المجلد الحادي عشر، مادة فرق

[3]/ ينظر إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، معجم الوسيط، ط2، المكتبة الإسلامية، تركيا، 1982، ج1، مادة (فرق).

[4] خالد سليمان، المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشرق للنشر، عمان الأردن ط1، 1999، ص46.

[5] سعد مصلوح، في النص الأدبي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1993، ص187.

[6] ينظر ناصر شبانة، المفارقة في الشعر العربي الحديث، (أمل دنقل، سعدي يوسف، محمود درويش أنموذجا) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص61.

[7] نعمان عبد السميع متولي، المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي، دار العلم والإيمان، مصر، 2004، ص08

[8] خالد سلميان، المفارقة والأدب، ص14.

[9] ينظر دي سي ميوك، موسوعة المطلح النقدي، (المفارقة وصفاتها) مج4، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1993،1 ص190.

[10] الرديني رائد فؤاد طالب، المفارقة في شعر الجنوسة في القصيدة العربية المعاصرة (دراسة وتطبيق) مجلة العربية والترجمة، دار المنظومة، لبنان، مج2، ع27، 2016، ص12.

[11] محمد العبد، المفارقة في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1994، ص61

[12]فريحة يبرير، المفارقة في مقامات الهمذاني، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2010، ص15.

[13]دي سي ميوك، موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها) ص171.

[14]/ المرجع نفسه، ص53.

[15] المرجع نفسه، ص63.

[16] علي عشيري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سيناء، القاهرة، ط2002،4، ص130

[17] المرجع نفسه، ص130.

[18] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط5، 2006، ص102.

[19]خالد سليمان، نظرية المفارقة، أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب، مجلد09، العدد 02، 1991، ص198.

[20] نبيلة إبراهيم، فن القص (في النظرية والتطبيق)، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص198.

[21]سامح الرواشدة، منازل الحكاية، (دراسات اللغة في الرواية العربية) دار الشروق للنشر، عمان، ط1، 2006، ص164.

[22] دي سي ميويك، المفارقة وصفاتها، ص52

[23] المرجع نفسه، ص16

[24] محمد العبد، المفارقة القرآنية، (دراسات في بنية الدلالة)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2006، ص09

[25] أحمد دليل، رجل من أرض الحلاج، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2014، ص31.

[26] مصدر، ص33.

[27] فيصل الأحمر، قلّ...فدلّ، دار المثقف الجزائري، باتنة، الجزائر، ط1، 20017، ص61.

[28] المصدر نفسه، ص 62.

[29] المصدر نفسه، ص32.

[30] المصدر نفسه، ص34.

[31] المصدر نفسه، ص34.

[32] المصدر نفسه، ص35.